

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن وهب بن منبه قال : وجدت في زبور داود عليه السلام : يا داود هل تدري من أسرع الناس ممرا على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي والسنتهم رطبة من ذكرى *

﴿ الباب التاسع والعشرون ﴾

(في ذكر سعة رحمة الله ومن مات على التوحيد)

قال الله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء) وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال : « يجي يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وقد تقدم في حديث أبي هريرة « لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار فالؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره » كما ورد في الصحيح « هذا فكاكك من النار » وهذه بشارة عظيمة للمسلمين أجمعين . حتى قال الشافعي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما : هذا الحديث أرجأ حديث المسلمين لما فيه من التصريح بفناء كل مسلم . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد مرفوعا . الى أن قال فيه : « فيقال أخرجوا من عرقم » - يعني من النار - فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيرا ، وقد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه . فيقولون : ربنا ما بقي فيها أحد فمن أمرتنا به ؟ فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا . الى أن قل : ثم يقال : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا ، وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث ، فافروا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها) الآية . فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها

قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً فيأقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله ؟ الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة ، فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا أعطينا ما لم تعط لأحد من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا . فيقولون : ربنا وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً » وفي حديث أنس بن مالك ، ذكر فيه الشفاعة ، مرة بعد مرة ، وأنه ﷺ . قال : « في الآخرة فأقول رب ، أي رب إئذن لي ، فيمن قال لا إله إلا الله . فيقول الله : وعزتي وجلالي ، وعظمتي وكبريائي ، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله » وفي رواية مسلم « ليس ذاك لك أو إليك » الحديث .

﴿ فصل ﴾

وقد أخبر تعالى : أن رحمته وسعت كل شيء ، وأنه كتب على نفسه الرحمة وقال : سبقت رحمتي غضبي ، وغلبت رحمتي غضبي ، فالجنة دار رحمته ، والنار دار غضبه ، فثبت أن الجنة ينشئ لها خلقاً في الآخرة ، ويدخلها أيضاً من دخل النار أولاً ، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء ، فثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً قط ، وثبت أن النار لا يعذب أحد فيها بغير ذنب ، فرحمته واسعة . حتى أن جماعة من المفسرين ذكروا قصة فرعون . قال جبريل : يا محمد لو رأيتني وأنا أدس الطين في في فرعون مخافة أن يقول فرعون كلمة يرحمه الله بها . فهذا جبريل من أعظم رسل الملائكة قد علم سعة رحمة الله ففعل ذلك مخافة إدراك الرحمة له ، مع أنه قال : (أنا ربكم الأعلا)

﴿ فصل ﴾

وما ينبغي أن يعلم ، أن مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف ، أن من

مات موحداً أدخل الجنة قطعاً على كل حال ، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير ،
والمجنون الذي انصل جنونه بالباوغ ، والتائب توبة نصوحاً صحيحة من الشرك ،
أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ، ومن نشأ في عبادة الله ولم
يقارف معصية أصلاً ، كل هؤلاء يدخلون الجنة ولا يدخلون النار ، لسكنهم يردونها
على الخلاف المعروف في الورد . والصحيح إن شاء الله تعالى على ما ذكره جماعة
من العلماء ، أن المراد بلورود المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم ؛
أجارنا الله من حرها وبردها

وأما من مات من أهل المعاصي ، أوله معصية كبيرة ولم يتب منها ، فهو داخل
تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه بمقدار ذنبه أو أقدر الذي يريد ثم يدخله الجنة ،
وإن شاء عفا عنه مطلقاً ، فلا يخلد أحد في النار مات على التوحيد ، ولو عمل من
المعاصي ما عمل ، وهذا من أحسن ما يتسلى به من مات له قريب أو صاحب من
أهل المعاصي ، ومات وما يعلم هل تاب من المعاصي أم لا ؟ قال أبو بكر النواوي
رحمه الله : وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع من يعتمد به على هذه
القاعدة ، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم للقطعي^(١) بذلك انتهى كلامه .

ويؤيد ذلك بما ثبت في الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه . قال : قال
رسول الله ﷺ : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » . قال
القاضي عياض : اختلف الناس فيمن عصي الله تعالى من أهل الشهادتين ، فقالت
المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان . وقالت الخوارج : تضره ويكفر بها . وقالت
المعتزلة : يخلد في النار إذا كانت كبيرة . ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر لكنه
فاسق . وقالت جماعة من العلماء : بل هو مؤمن وإن لم يغفر له ، وإن عذب فلا بد من
إخراجه من النار ، وادخاله الجنة . قال : وهذا الحديث حجة على الخوارج

(١) كذا بالأصل ، ولعله يحصل بها العلم القطعي .

والمعتزلة ، وأما المرجئة فإن احتجت بظاھرہ قلنا : نحمّله على أنه غفر له وأخرج من النار بالشفاعة ، ثم أدخل الجنة ، ويكون معنى قوله عليه السلام : « دخل الجنة » أي دخلها بعد مجازاته بالمذاب . وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة . انتهى كلامه

ومن هذا الباب ما ثبت في الصحيح أن أبا الاسود الديلمی حدثه أبا ذر قال : أنبت رسول الله ﷺ وهو نائم على قميص أبيض ، ثم أتته فإذا هو نائم ، ثم أتته وقد استيقظ ، فجلست إليه . فقال : « ما من عبد قل لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال « وإن زنا وإن سرق » قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : « وإن زنا وإن سرق » ثلاث مرات . ثم قال في الرابعة : « على رغم أنف أبي ذر » قال : نخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر ، وفيه رد على الخوارج ، وعلى المعتزلة بتخليد أهل الكبار في النار . وفي رواية للبخاري أن رسول الله ﷺ قال : « أناي جبريل فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : وإن زنا وإن سرق » وهو من حديث أبي ذر . وفي الصحيح من حديث جابر أن النبي ﷺ قال : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار » وفي لفظ « من لقي الله لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » وفي رواية « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » وفي لفظ « من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله دخل الجنة » وفي حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وعنه أيضاً مرفوعاً « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » وفي رواية « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله على النار » وزاد في صحيح البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت « على ما كان من عمل » وفي صحيح البخاري

ومسلم من حديث أنس أن نبي الله ﷺ ومعاذ بن جبل رديفة على الرحل ، قال :
يا معاذ ، قال : لبيك وسعديك يا رسول الله ، قال : يا معاذ ، قال : لبيك وسعديك
يا رسول الله ، قال : يا معاذ قال : لبيك وسعديك يا رسول الله ، قال : « ما من عبد
يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار » قال :
أولاً أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذا يتسكروا » فأخبر بها عند موته تأمناً
- يعنى مخافة الأثم - وفي لفظ مسلم من حديث عبادة أنه سمع رسول الله ﷺ
يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » وعن
أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟
فذكره قال : « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه »
رواه البخاري * وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة
مستجابة فتمجّل كل نبي دعوته وإنّي أختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة
فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » رواه مسلم . وفي
لفظ له « حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله » وقد ورد في ذلك عدة
أحاديث ، وغالب هذه الأحاديث سردها مسلم في صحيحه في باب واحد ، في باب
الدليل على صحة اسلام من حضره الموت . لكن قال سعيد بن المسيب عند
سماعه هذه الأحاديث : إن هذا قبل نزول الفرائض والأمر والنهي . وهذا القول
عن سعيد بن المسيب رحمه الله ليس بشيء . وقال بعض العلماء : هو خطأ ، لأن
راوى أحد هذه الالفاظ أبو هريرة وهو متأخر الاسلام ، أسلم عام خيبر سنة سبع
بالاتفاق ، وكانت أحكام الشريعة مستقرة ، كالصلاة والزكاة والصيام ونحوها ، فلم
ضعف هذا القول والله تعالى أعلم . وقال بعض العلماء : هي مجعلة تحتاج الى شرح
ومعناه : من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها . وهذا قول الحسن البصري .
وقيل : أن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك ، وهذا قول البخاري .

وقد تقدم في أول الباب حملها على ظاهرها ، وأن مذهب السلف والخلف من الفقهاء وأهل الحديث على أن من مات موحدًا دخل الجنة ، وإن كان من أهل المعاصي ، وأنه داخل تحت المشيئة . والله تعالى أعلم *

وعن أبي جعفر قال : لما حضر أبو زرعة الموت ، وعنده أبو حاتم ، ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء ، هابوا أن يلقنوه الشهادة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نذكر الحديث ، فقال محمد بن مسلم : حدثنا الضحاك عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ، وقال أبو حاتم : حدثنا بندار عن أبي عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ، والباقيون سكوت ، فقال أبو زرعة : ثنا بندار عن أبي عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبي غريب عن كثير بن قرة الحضرمي عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ثم توفي من ساعته رحمة الله عليه *

وعن عبيد بن عياش قال : لما ماتت النوار امرأة الفرزدق ، شهدها الحسن البصري ، فلما سوى عليها التراب : وثب الفرزدق لينصرف ، فقال للحسن : يا أبا سعيد ، أما تسمع ما يقول الناس ؟ قال : وما يقول الناس ؟ قال : يقولون : اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، يعنونك ويعنونني ، فقال الحسن : ما أنا بخيرهم ، وما أنت بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال يا أبا سعيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، فبكي الحسن ، ثم التزم الفرزدق فقال : لقد كنت من أبغض الناس الى ، وإنك اليوم من أحب الناس الى *